معرض "غبار، حوار ، حديد" للفنان تيسير بركات يقود الزائر إلى عذابات غزة ومآسٍ عالمية

كتبت نائلة خليل:

في معرض "غبار، حوار، حديد" اللوحات الفنية تقودك بشكل عفوي إلى غزة ومنها إلى أي مكان مجروح في هذا العالم الكبير.

لا تكتفي بالنظر إلى لوحات الفنان تيسير بركات فقط، بل وتستسلم للفضول الذي يتلبس أصابعك لتلمس تكوينات اللوحات التي أخذت أشكالاً لوجوه وأناس وأشجار وسجون وقذائف تعرفها أكثر من غيرك، وتُدهش عندما يخبرك الفنان أن كل هذه العوالم التي يوحدها جرح الإنسان ومعاناته، استخدم فيها برادة الحديد.

بعد ثلاث سنوات من المحاولات.. الاقتراب والابتعاد، يستطيع بركات أن يقول اليوم "يجمعه مع برادة الحديد انسجام قادر على خلق فضاءات فنية يُرضي ولو قليلاً إلحاح الفنان داخله".

يقول بركات "هناك أشياء كنت أراها وأشعر بها وأنا طفل صغير، ولم أستطع التعبير عنها، لكن هذه المادة ساعدتني على التعبير". ويتابع "أعتقد أنني وصلت بعد عناء الى حوار مع برادة الحديد، فقد أصبحت مطواعة أكثر، ولها قدرة على الاستماع والحوار والتفاعل مع ما تصل إليه روحي من مساحات فنية".

اعتمد بركات في عمله الجديد "غبار، حوار، حديد" بشكل أساسي على برادة الحديد، التي قام بمزجها بالغراء ومواد كيماوية وطبيعية وعرّضها لدرجات حرارة متفاوتة، لينتج عنها لاحقا تكوينات فنية بأبعادها الثلاثية، ودرجات من الألوان من الصعب أن يتخيل الزائر أن هذا التكوين الأخير يحمل روح الحديد.

وشمل المعرض الذي افتتح في جاليري "المحطة" في رام الله أول من أمس، ويستمر حتى الخامس عشر من الشهر الجاري، على نحو 200 لوحة وتشكيل فني بأحجام متفاوتة.

ومن الملاحظ أن اللوحات الفنية التي شُكلت في السنة الأولى لعلاقة بركات مع "برادة الحديد" كانت تختلف في جودة التقنية ومستوى التكوينات الفنية عن تلك التي شُكلت في السنة الثالثة "للعلاقة" مع برادة الحديد حيث بدت الأخيرة أكثر نضوجاً وعمقاً في ملامحها.

والى جانب اللوحات الفنية كتب بركات نصوصا بين الفلسفة والسخرية، ويرفض القول إن هذه النصوص هي تفسير للعمل الفني، مؤكداً "النص ليس تفسيراً للوحة بل يحاكي العمل، ويدخل في كينونته كجزء منه".

وفي أحد النصوص للوحة تبدو وكأن السماء تمطر وهجا غاضبا كتب بركات "ما هذا الأصفر أهو القيامة، أنا أترنح ــ هذا الديك لا يقوى على الوقوف، أهذا هو الفسفور الأبيض، أنا تعبان ــ يا أحمد ــ يا مصطفى ــ يا أم علي أين أنتم؟، هذا الأصفر قاتل يا ولدي تدثر بالبطانية اجمعوا العناقيد ورتبوا لنا موتاً بهياً"، ووقع الفنان ما سبق بـ "أنا أبو حسين من حي الزيتون في غزة".

وقال الفنان التشكيلي خالد الحوراني الذي زار المعرض "هناك تغليب للنص على حساب الصورة، وكان يجب أن يكون حضور النص مدروساً أكثر".

ويضيف "هناك حضور قوي لملحمة غزة، ومشاكل الإنسان المعاصر، وبركات قدم بشكل فني ما نلاحظه خلال نشرة أخبار واحدة في أي مساء وهو شقاء البشرية".

وربما توقف الكثير من الزوار أمام النصوص التي بدت وكأنها خطفت الأنوار من اللوحات موضوع المعرض، وتحديدا السيرة الذاتية التي كتبها الفنان على طريقته ومنها "أنا كيس طحين، أنا بيت مهدوم، أنا جرح نازف، أنا جرة غاز، أنا ديك أعرج، أنا سيارة إسعاف، أنا رصيف مهشم في غزة هاشم، ربما أنا فاسد، ربما أنا شجاع، ربما طيب، ربما غلبان! أنا تعبان.....".

هذه السيرة المثقلة بهموم غزة كتبها بركات ابن مخيم جباليا خلال العدوان الإسرائيلي الأخير على قطاع غزة، فجاءت مغسولة بالقهر والتعب واليأس.

يقول بركات "هناك جرح إنساني كبير على امتداد هذا العالم، ومن دون أن أدري وجدت نفسي أتكلم مع تاريخ وظلم قديم عاشه ويعيشه الإنسان في كل لحظة".

وكأن غزة بوابة المعاناة بعد أن هدموا وحرقوا منها ما شاؤوا؛ الأرض والرمل والسماء، يعيد بركات رسم مأساتها ببرادة الحديد، وليس هي فقط بل في لوحاته ونصوصه نجد العراق وسجن أبو غريب، نواكشوط، المهاجرين العرب الذين يموتون على سواحل إيطاليا، الإنسان ينزف في هذا العالم الذي يكتفي بإعطائه الضمادات بوفرة لكنه لا يمنحه الشفاء